أ.علي الغوني إدريس النايم
جامعة ولاية يوبي – نيجيريا

اللغة العربية في نيجيريا
آفاق وتحديات

الملخص

واجهت اللغة العربية مجموعة من التحديات والعقبات من قبل المستعمرين في البلاد الإفريقية، والمستشرقين وأصحاب الحداثة والمغردين المقلدين لهم في الدول العربية، حيث اتهموها بالعقم والجمود مرّة، وبالقصور في مواكبة الأحداث والمستجدّات أخرى، وأنها لغة دين وليست لغة معاملات، وشارك في إبعادها عن الساحة أعداؤها وأصحاب النوايا الخبيثة من أبنائها، ولاتزال هذه اللغة تواجه تحديات في كل زمان ومكان، حتى إن أصحابها هجروها ونظروا إليها نظرة احتقار، واستطاع المتَحدّون لها بكل ما أوتوا من ذكاء وفطنة أن يضعوا لها عقبات وعراقيل تساعد على إماتتها، أحلّوا لغتهم محلّها في المستوطنات التي استعمروها، سواء أكان المسعمِر فرنسا أم إنجلترا، وغيَّروا حروفها واعتبروها لا تفي بمتطلبات الأمم، وأحلّوا الحروف اللاّتينية محلّها، ففي الصومال ونيجيريا والتشاد والسنغال وبعض دول جنوب شرق آسيا كماليزيا وأندونيسيا وبرني وغيرها من الدول الإسلامية، كانت تكتب لغاتها المحلية وكتبها العلمية بالحروف العربيّة، وأبدلوها إلى الحروف اللاّتينية، وأثاروا النعرة القبلية للغات المحلية كي تكون هي اللغات المستخدمة في البلاد بدلاً من العربيّة، واستجاب أصحاب هذه اللغات إلى ذلك، هذا وغيره من الاستراتيجيات التي اتبعها المستعمر في طمس الثقافة العربية وإحياء ثقافته في القارة الإفريقية وبعض الدول الإسلامية الأخرى قديماً، وبمرور الزمان أصبحت هذه الخطط والاستراتيجيات تحديّات وعقبات وعراقيل تقف متجسّدة أمام انتشار اللغة العربية الفصحى في البلاد الإسلامية العربية وغير العربية حاليا، ففي نيجيريا مثلا– وخاصة ما يتعلق بشمال نيجيريا– ثمة مؤسسات عربية تعليمية تحاول في نشر العربية على مستوى البلاد، لكنها تواجه تحديات وعراقيل قوية تحاول طمسها، وستقوم الدراسة بتحديد هذه التحديات والعقبات التي تواجه اللغة العربية عالمياً ومحليا، وتضع الحلول المناسبة للتخلص من هذه المشاكل والعراقيل بعد رصدها وتحليلها على ضوء المنهج الوصفي والتحليلي، وبذلك تضيف هذه الدراسة شيئا جديدا في مجال اللغة العربية عامة، وبخاصة ما يتعلق بالمجتمع النيجيري.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على أفصح خلق الله لسانا وأعظمهم خُلقا وخِلقة، صفوة الخلق وخير الأنام، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، أما بعد: فإن اللغة العربية لغة الإسلام والقرآن لها مكانة عظيمة في قلوب أبناء المسلمين في جميع البلاد الإسلامية، ولها حماة يحمونها من الضياع، وذلك لعلاقتها القوية المباشرة بالإسلام، لذا نرى في البلاد الإفريقية كنيجيريا مثلا بعض المؤسسات الدينية التعليمية تعمل جاهدة في نشر هذه اللغة في صفوف أبناء المسلمين، ولم تقتصر هذه الجهود على المؤسسات بل إن هناك الكثير من الحلقات والدهاليز في الزوايا تؤدي دورا كبيرا في نشر العربية والثقافة الإسلامية قديما وحديثا.

وهذه الجهود المبارك والجوانب المضيئة تواجه بعض الجوانب المظلمة والتحديات والعراقيل التي قد تؤدي إلى تراجع هذه الإسهامات ومن ثم طمس هذه الجهود، وهذه التحديات بعضها معنوي وبعضها مادي، وهذه الدراسة ترصد للباحثين هذه التحديات واحدا تلو الواحد، وتحاول كشف الحلول المناسب التي من شأنها أن تساعد في إزالة هذه التحديات والعقبات والعراقيل المتجسدة أمام اللغة العربية في نيجيريا مستقبلا، والله الموفق وهو يهدي السبيل.

تحدّيات اللّغة العربيّة على الساحة العالميّة

وقبل أن نتحدث عن التحديات نقف قليلاً عند الانطباعات السلبية من منظور المعارضين للغة العربية الفصحى والإيجابية من منظور المؤيّدين لها.

الانطباعات السلبية والإيجابية تجاه العربية

اتهم أصحاب الحداثة اللغة العربية بالقصور والتحجّر، وزعموا أنها لا تتماشى مع الأساليب العصرية وبخاصة أساليب القرن الحادي والعشرين عصر الثورة المعلوماتية والاختراقات الفضائية، وينسبون التخلّف العلمي الذي تعيشه الدول العربية إلى تمسكها باللغة العربيّة، ويقولون إن تدريس العلوم الطبية والهندسية وغيرها من المواد العصرية تحتاج إلى اللغة الإنجليزية ولا تحتاج إلى العربية، وهذا يعتبر دليلا واضحا عندهم في قصور العربية عن مواكبة العصرنة الجديدة،[1] هذا يصوّر لنا الانطباعات السلبية تجاه العربية عند أصحاب هذه النظرة.

أما المحافظون فيرون خلاف ذلك، فاللغة العربيّة ليست قاصرةً ولا عاجزةً، هي لغة غنيّة بالكلمات والأساليب والخصائص التي تميّزها عن اللغات الأخرى، فقد كانت هذه العلوم المذكورة من طبّ وهندسة وغيرها مكتوبة بالعربية بأسلوب راق عند علماء العربية من المسلمين، فاللغة العربية التي وسعت كلام الله عز وجل ربّ البشر كيف تعجز في أن تحتوي كلام البشر، فقد اقتضت حكمة الله تعالى في أن تكون هذه العربية هي الأداة

المباشرة لترجمة كلام الله عز وجل، وأن تكون أيضا هي لغة الأمة الإسلامية التي هي خير أمة أخرجت للناس، ولو أمعنَّا النظر في خصائص اللغة العربية لوجدنا أنها تمتاز بخصائص يندر وجودها في اللغات الأخرى،[2] وهذه النظرة من المحافظين تصور لنا الانطباعات الإيجابية تجاه اللغة العربية.

هذه بعض الانطباعات السلبية والإيجابية التي تواجهها اللغة العربية الفصحى على المستوى العام، وثمة تحديات تواجهها اللغة العربية الفصحى عالمياً.

التّحديات العامّة: تعريف التحدّي: التّحدّي مأخوذ من تحدّى يتحدى كما تقول: "تحدّيت فلاناً: إذا باريته في فعل، ونازعته الغلبة."[3] والتحديات العامّة نقصد بها التحديات التي تباري اللغة العربية وتنازعها الغلبة في منظور اجتماعي عالمي، ودونك تحديدها وبيانها فيما يأتي:

1- **القول بصعوبة اللغة العربية:** يبث أصحاب الحداثة في صفوف الناس القول بأن العربية الفصحى صعبة، فلا سبيل إلى تعلّمها؛ وذلك لأن المثقفين فيها عجزوا عن إدراك أساليبها لتعقيدها، فكيف بالإنسان العادي، ويقصدون من وراء ذلك إماتة العربية الفصحى، فينغلق على المجتمع المسلم فهم القرآن الكريم والسنة المطهرة.

2- **استبدال العربية الفصحى باللهجات العامية:** ينادون أصحاب الحداثة أيضا بإحلال اللهجات العامية محل العربية الفصحى، ويقولون بأنها سهلة التناول، ناسين أن الرجوع إلى اللهجات العامية يحدث مشْكلة أكبر، فأي لهجة تكون اللهجة المنتخبة بالنسبة للهجات الدول العربية.

3 – **مهمة التدريس في المدارس الحكومية:** أسند المستعمر مهمة التدريس لجهة تساند ثقافته ولغته وتنازع الثقافة الإسلامية والعربية، وهذا يعني أن مدرّس العربية ليست له مكانة فكيف يمتلك المهارات التي تؤهّله ليكون مدرّساً متفوّقاً.

4 – **التوظيف في المناصب الحكومية:** وظف المحتل تلامذته في الجامعات والمدارس الحكومية، وتولّوا مناصب جسيمة، وكراسي عالية رفيعة في الدولة، في حين أن مدرّسي العربيّة مهملون لا يجدون لقمة العيش منطوون في زاوية بعيدة عن المجتمع.

5 – **مهمة التأليف:** ألف المستشرقون كتباً في الدين واللغة أكبر من علمه وأدخلوا فيها الأفكار التي تساند ثقافتهم الغربية ولغتهم الإنجليزية وتهمل الثقافات الأخرى، غرسوا هذه الأفكار في أذهان الطلاب من أبناء الأمة.

6- **تغييب مصادر التراث الإسلامي:**أخذ المستشرقون وتلامذتهم كل نفيس من الكتب والمصادر الإسلامية الموجودة في البلاد العربية التي سيطر عليها المحتلّ، وإرسالوها إلى أوروبا، وحدث ذلك في القاهرة، حتى تكون الأمة الإسلامية جاهلية بتاريخها التليد، وتنخرط في التبعية العمياء التي نعيشها الآن.

7- تصفية الطلبة النابهين من الساحة: الطلاب النابهون مصدر المقاومة والصحوة، فقاموا بقتلهم ونفيهم من البلاد، وحصل ذلك في القاهرة في عهد الاستعمار الفرنسي.

8 – **سياسة التعليم**: وضع المستعمر قانوناً يمنع من إعطاء رخصة لمعلّم العربية إلا بشروط محدودة، منها: اقتصار التعليم على حفظ القرآن الكريم لا غير، واستبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه، وحدث ذلك في مصر وتونس والسودان وسائر البلدان الإسلامية المحتلة. وهذا له تأثير سلبي في البلاد المعتمِدة في مناهجها على تلكم البلاد المذكورة، كنيجيريا وغيرها من البلاد الإفريقية.

9 – **سياسة اللغة**: تحويل أبجدية اللغات المحلية من العربية إلى اللاّتينية، تقديم اللغات الأجنبية في الأقطار الإسلامية على اللغة العربية، تفضيل اللهجات واللغات المحلية على اللغة العربية، وحدث ذلك في إفريقيا وآسيا.[4]

10 – **سياسة الإعلام**: يلاحظ أن أعلى نسبة للفصحى في الإعلامات العربية، تتعلق بالخطاب الرسمي، كنشرات الأخبار، والتقارير وغيرها، وأعلى نسبة للعامية نجدها في برامج الأطفال والأسرة والمسلسلات وغيرها.[5] وهذا يعتبر تحدّ للعربية الفصحى.

التحديات المعنوية الخاصة بالمجتمع النيجيري :

ونقصد بالتحدّي هنا، جملة من العراقيل المعنويّة التي تباري اللغة العربية وتنازعها الغلبة في المجتمعات النّيجيرية، وبصورة خاصة ما يتعلق بولاية يوبى التي تقع شرق شمال نيجيريا، وهذه التحديّات والانطباعات السلبية نسبيّة، وهي تمثّل نسبة40 %، وأما نسبة 60% فإيجابية في صالح نشر العربية، وهي الآفاق، ونوجز هذه التحديّات ونبينها فيما يلي:

1 – **سياسة التعليم في نيجيريا**: الحكومات النيجيرية الفدرالية لا تعطي عناية بالغة في مجال تعليم اللغة العربية؛ ولذلك لم يكن للغة العربية تأثير في مستوى الدولة.

2 – **المجتمع النيجيري واللغة العربية**: المجتمع تابع للحكومة فما رأته الحكومة حسناً حسّنه المجتمع، وما رأته قبيحا قبّحه المجتمع، فالحكومة لا تعطي عناية للعربية والمجتمع لا يرى فائدة في دراستها. وهذا له أثر سلبي تجاه اللغة العربية.

3 – **التوظيف في المناصب**: المسؤلون عن المؤسّسات العربية من قبل الفدرال مثقفون ثقافة غربية، فلا حاجة لهم بالعربية وأصحابها، وإنما همّهم وهدفهم أن تسود وتنتشر الإنجليزية، لذلك نجد معظم المدرّسين في مجال العربيّة لا قيمة لهم في أعين المدراء، وهذا يجعلهم لا يستطيعون أداء واجباتهم بوجه أفضل.

4 – **سياسة الإعلام**: العربية: لها في النشاطات الإعلامية تماماً، ففي التّلفاز المحلي ليس هنالك برامج باللغة العربية، وكذلك الإذاعات المحلية والصحف اليومية.

5 – **سياسات اللغة**: اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسميّة، واللغات الأخرى تعتبر لغات محلية، أما العربية فهي اللغة الأجنبية عند صنّاع القرار في نيجيريا.

6 – **الشعور بالدونية من قبل المثقفين ثقافة عربية**: يُعَد عزل المثقفين ثقافة عربية عن شؤون الدولة تحديا كبيراً للغة العربية في المجتمع النيجيري، ولذلك لم تجد من يدافع عنها، ويثبت وجودها أمام السياسيين ورجال الدولة.

7 – **التخوف من العربية من قبل المثقفين ثقافة غربية:** المثقفون ثقافة غربية في المجتمع النيجيري، يرون أن اللغة العربية إذا تطورت وأصبح لها أهمية في المجتمع، يفقدون بذلك مناصبهم وقيمتهم في المجتمع، ولذلك يكون تطور اللغة العربية خطورة عليهم.

هذه بعض التحدّيات الخاصة المتعلق بالمجتمع النيجيري، وقد تبيّن من خلال ما ذكر أن هناك تحديات مختلفة، منها سياسات التعليم واللغة والإعلام والمجتمع والتوظيف وغيرها من السياسات، وبيّناها حسب ما يقتضيه البيان والمقام، وسنقوم بتحديد التحدّيات التي تواجه العربيّة في المجتمع النيجيري من نواح مختلفة: نفسية وفكرية وثقافية في الجزئية التالية:

التحديات النفسية والفكرية والثقافية:

نحدّد التحديات النفسية والفكرية والثقافية التي تواجهها اللغة العربية في المجتمع النيجيري في الجدول الآتي، ونقوم بعد ذلك ببيانها وتوضيحها:

- الرؤية السطحية من قبل المجتمع النيجيري لمدرسي العربية أدت إلى اتقارهم وتخلفهم وبعدهم عن الساجات الحكومية.
- الإحساس المثقفين ثقافة عربية بالدونيّة في مجال العمل الوظيفي كالإدارات والمدارس والجامعات في نيجيريا.
- لم يتمكن أغلبية دارسي العربية من اللغة الإنجليزية التي تعتبر اللغة الرسميّة، فيتيح لهم الخوض في غمار الحياة الحكومية.
- الترجمة في طريقة تعليم اللغة العربية باللّغات المحليّة تحدٍّ كبير للغة العربية في المؤسسات التعليمية.
- ما زرعه المستعمرون في نفوس تلامذتهم الذين تثقفوا بثقافتهم من كراهية للعربية وأهلها.
- عدم استعمال المناهج المناسبة وطرق التدرس الحديثة في تعليم اللغة العربية في المدارس التعليمية.
- عدم اهتمام الدّارسين للغة العربية بسبل تطورها وتقدمها سواء أكانوا أساتذة أم طلاّبا.
- مدرسوا اللغة العربية أنفسهم لا يمارسون المخاطبة باللغة العربية، بل يفضل بعضهم الإنجليزية.

البيان والتوضيح: إذا نظرنا إلى التحدي الأول وتأملنا فيه وجدناه تحدّياً فكرياً، حيث أثّر غزاة الفكر في نفوس بعض أفراد المجتمع النيجيري حتى وصل بهم الأمر إلى استحقار المنتمين إلى اللغة العربية والمثقفين بها والتقليل من شأنهم، وكأن هذه اللغة لا تستحق الدّراسة أو على الأقل لا فائدة من وراء دراستها.

أما التحدي الثاني فهو تحدٍّ نفسي، فالمثقفون ثقافة عربية يشعرون داخلياً بأنهم ضعفاء وغرباء في وطنهم، وأن غيرهم أفضل منهم، ولذلك تراهم دائما منطويين ومنعزلين عن المجتمع، ومصابين بالانهزامية معنويا، لأنهم

يحسّون بالدونيّة ويرون أن غيرهم أفضل منهم، مع أن الحكومة رفعت مستواهم المادي، فهم مثل غيرهم في الرواتب والقيمة.

أما التحدي الثالث فتحدي ثقافي؛ إذ إن المثقفين ثقافة عربية لم يلموا بالثقافة الإنجليزية التي من شأنها أن ترقى بهم في المناصب الحكومية، فالإلمام بها يساعد في مشاركة المثقفين ثقافة عربية في أمور التعليم العالي وكذلك بعض الشؤون الحكومية.

وبالنسبة إلى التحدي الرابع فيدخل ضمن التحدي الثقافي أيضا؛ لأن التعليم ونظمه جزء من الثقافة، وترجمة مادة العربية في مجال التعليم للمرحلة الإبتدائية والإعدادية لا بأس به، أمّا أن تستمر الترجمة في المرحلة الثانوية والجامعية باللغات المحلية فهذا يعرقل مسيرة اللغة العربية، ويجعل الطلاب لا يستطيعون التخاطب بها مع غيرهم.

والتحدي الخامس لا يخرج شرحه عما ذكرنا في التحدي الأول، فكلاهما تحدّ فكري ناجم من تأثيرات المستعمرين وغزوهم الفكري الذي لا يزال أثره ظاهر في نفوس بعض أفراد المجتمع النيجيري، وأما التحدي السادس فهو تعليمي ثقافي كما سبق عن بيّناه في التحدي الرابع، وإعادة المناهج وتطويرها والأخذ بالأساليب والطرق الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها أمر مهمٌّ جدا، وعن عدم عناية العاملين في حقل العربية بتطويرها، وكذلك بُعدِهِم عن التحدث بها فيرجع هذا كله إلى إحساسهم بالدونيّة والضعف مقارنة بغيرهم ممن تثقفوا بالثقافات الأخرى، فمردّ ذلك كله يرجع إلى التحدّي النفسيّ المذكور، وننتقل إلى التحديات المادية ونبيّنها على غرار ما سبق بيانه في التحديات المعنوية.

التحديات غير المعنوية التي تواجهها اللغة العربية في المجتمع النيجيري:

نحدّد التحديات الدينيّة والماديّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة التي تواجهها اللغة العربية في المجتمع النيجيري في النقاط الآتية:

- نظرة بعض المجتمع في نيجيريا إلى العربية بأنها لغة الدين الإسلامي فقط، وأنها غير مهيئة لأن تكون ك لغة في المعاملات الحكومية اليومية.
- محاربة بعض الشخصيات الكبار في نيجيريا من المثقفين ثقافة غربية من المسلمين للغة العربية خشية أن تسود هذه اللغة ويفقدوا مناصبهم الحكومية.
- ضعف التمويل الكامل في مجال اللغة العربية من قبل الحكومة أو المجتمع.
- البيئة النيجيرية غير مساعدة في تقدّم اللغة العربية من حيث إنها بيئة غير عربية.
- كون اللغة الرسميّة هي الإنجليزية نَقَص من قدر العربية، ومن ثمّ جعل الحكومة لا تهتمّ ولا تساعد في تقدمها بشكل فعال.

- تدريس العربية مجاناً جلبت هذه الظاهرة مشاكل كثيرة في صفوف المؤسّسات التعليمية العربية في المجتمع النيجيري.
- تدَنّي المستوى الاقتصادي في جانب المؤسسات التعليمية العربية أثّر في تقدّم العربية.
- عدم فتح مجالات كثيرة للعمل في الدوائر الحكومية لحاملي الشهادات العربية.
- الاهتمام الناقص من قبل المجتمع النيجيري تجاه المدارس العربية.

البيانات والتعليقات

إذا نظرنا في التحديات السابقة نجدها تتمركز في التحديات الدينية والمادية والاقتصادية والاجتماعية، فالعرقلة الأولى عقبة دينية؛ لأنه قد رسخ في ذهن بعض المجتمع أن العربية لغة دين، وأنها لا تصلح في المعاملات لا في الدوائر الحكومية ولا التجارية؛ ولذلك لا يهتمّون بدراستها، وهذه النظرة نظرة دينية ومادّيّة في نفس الوقت، فتصنيفها بأنها لغة دين نظرة دينية، وتعليلها بأنها لا تصلح في المعاملات الحكومية ولا التجارية وهذا يعتبر تصنيفاً مادياً، وأمّا عن معاداة بعض الشخصيات للعربيّة وتخيّلهم بأنها لو سادت يفقدون مناصبهم الحكومية فأمرٌ واقع نسبي يتفوّه به بعض الموظّفين في الإدارات الحكومية وفي صفوف بعض الأكاديميين كذلك.

أما بالنسبة إلى ضعف التمويل الكامل من قبل الحكومة والمجتمع في نيجيريا لمثل هذه المؤسّسات، فنسبة 40 % من الحكوميين يرون أن مثل هذه المؤسسات لا ثمرة من وراء دعمها، فإنها مؤسسات دينية لادور لها في الحكومة، وإن وجدت تدعيماً من قبلهم فبعامل الدين فقط لا غير، فمجالات فرص العمل لدارسي العربية في الأوساط الحكومية قليلة، وكذلك الواقع لا يؤيد تعزيزها؛ لأن اللغة الرسميّة التي تتعامل بها الحكومة والشركات التجارية في الدولة هي اللغة الإنجليزية، وهذا العائق يعتبر من العوائق المادّيّة، وهذه الظاهرة تأثيرها ظاهر في عرقلة تقدّم اللغة العربية في البلاد.

أما بالنسبة إلى مجّانية تدريس الدّراسات الإسلامية والعربية أو شبه المجّاني، فقد تركت هذه الظاهرة آثارا سيئة للغاية، منها: الاعتماد على الهيئات الخيريّة والوقوف بأبواب الأغنياء في نيل الأموال لدفع الرواتب الشهرية، وقلة الرواتب التي تدفع للمدرسين وتواضع أجورهم، ونتيجة لذلك ضعفت معطياتهم العلمية والمعنوية.

وبالنسبة لتدنّي المستوى الاقتصادي في جانب اللغة العربية في نيجيريا، فيظهر ذلك في الحياة كان أغلب المثقفين بالثقافة العربية عليها من قبل، تجدهم أحيانا يعيشون معيشة ضنكى وفي حالة بائسة، لا يملكون لقمة العيش إلا بالكدّ والتعب، وهذه الحالة أدت ببعضهم إلى التذلل والافتقار، فاضطروا إلى الاتّكال على غيرهم في وجود قوت يومهم، وهذه الظاهرة القديمة أثّرت في مجرى الأمور، وحطّمت من معنويات المنتمين إلى هذه التخصّصات من الطلاب والأساتذة آنذاك، ويئسوا من مستقبلهم مقارنة بمن درسوا الفنون الأخرى، اللهم إلا المخلصين المحتسبين الذين لم يفكروا في جَعْلِ دراستهم للعربية وتدريسهم لها وسيلة إلى الغنى أو العيش أو الجري وراء ذلك. هذا بيان موجز فيما يتعلق بالتحديات الدينية والمادية والاقتصادية والاجتماعية.

وهناك تحديّات وعراقيل سلبية تمثّل 50 % خاصة بالمؤسّسات الدّينية والتّعليمية في الولاية التي شأنها نشر اللغة العربية والتعليمات الإسلامية، توصل إليها الباحث عبر إجراء المقابلات مع بعض المسؤولين عن التعاليم الدينية والثقافة العربية في ولاية يوبى؛ وهذه العقبات والتحديّات السلبية المتجسّدة أمام العربية، لا يمكن لها أن تتقدّم وتتطور دون إزالتها عن الطريق.

التحديات والعراقيل التي تواجه هذه المؤسسات الدينية التعليمية:

المؤسسات الدينية التعليمية في نيجيريا عملها نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في أنحاء البلاد النيجيرية عامة، ونخص في هذا البحث ولايات شمال نيجيريا وبصفة خاصة ما يتعلق بولاية يوبي، وهذه المؤسسات لها دور في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ومع هذه الآفاق والأدوار التي تقدمها المؤسسات المذكورة، لا تخلوا هذه المؤسسات من التحديات والعراقيل التي تتجسد أمامها في طريقة مساهماتها تجاه نشر اللغة العربية، وهذه المؤسسات كثيرة منها حكزمية ومنها أهلية ومنها مزدوجة بين الحكومية والأهلية، وفي المؤتمر السابق ذكرنا هذه المؤسسات وإسهاماتها، من هذه المؤسسات هيئة اللغة العربية والتربية الإسلامية، والمركز الإسلامي بولاية يوبي، والكلية الإسلامية العالية الخاصة بولاية يوبي.

نختار في هذه الورقة التحديات التي تواجه بعض المؤسسات الدينية والتعليمية وهي: هيئة اللغة العربية والتربية الإسلامية بدماترو ولاية يوبي، والمركز الإسلامية بدماترو ولاية يوبي.

هيئة اللغة العربية والتربية الإسلامية بدماترو ولاية يوبى

بعض التحديات التي تواجه هذه المؤسّسات ومسؤوليها في ولاية يوبى نحددها ونقوم بعد ذلك ببياناتها وشرحها في النقاط التالية:

قلة التّمويل المادي: هذه الهيئة تعاني من قلة التمويلات المادّية، وبطبيعة الحال إذا كان التمويل المادي ناقصاً فالأمور تتدهور وتنحطّ، ولا يمكن التّقدم والتّطور بدون التمويل الكافي.

عدم وجود محل رئيسي مستقل للهيئة: فقدا ن المحل الرئيس للهيئة يؤثر في عدم الوصول إلى الهدف المنشود، فالتدريبات والدوريات تحتاج إلى أماكن تتناسب معها.

المواصلات في الهيئة: عدم امتلاك الهيئة المواصلات الكافية التي تساعد على الوصول إلى القرى البعيدة لمتابعة النّظم المقررة في المدارس العربية يعدّ عائقا كبيرا للهيئة في طريقها إلى نشر اللغة العربية.

عدم فعّالية الطرق والأساليب الحديثة: يعتبر عدم توفير التّقنيات والأساليب الحديثة في نشر اللغة العربية للناطقين بغيرها عرقلة كبرى لهذه الهيئة، لأن الاتصال المباشر بالولايات الأخرى في الدولة، لمبادلة الآراء والمعلومات فيما يتعلق بتطوير العربية.

قلة التعاون من الجهات الأخرى: كل جهة من الجهات تعتمد على نُظُمها الخاصة بها، وتعارض نظام الهيئة المقرر من الحكومة، وخاصة فيما يتعلق بالمدارس القرآنية في الولاية.

عشوائية بناء المدارس العربية: كثرة بناء أو إنشاء مدارس إبتدائية على نظام عشوائي، بدون تسجيل من قبل الهيئة المسؤولة عن ذلك، وذلك يعتبر عقبة كبرى لهذه الهيئة، ومن ثم يؤدي إلى فشل هذه المدارس، واتهامها بالتخلف والفوضى فضلا عن إغلاقها من قبل الحكومة.

عدم تطبيق المناهج المقررة من قبل الهيئة: عدم تطبيق المناهج المقررة من قبل الهيئة في المدارس الأهلية الابتدائية، يعتبر عائقا من عوائق تقدم اللغة العربية، وكل عائق يحدد هذه الهيئة بمثابة عقبة كبرى للغة العربية في الولاية؛ لأن الهيئة هي المسؤولة عن شؤون العربية من قبل الحكومة.[6]

المركز الإسلامي بدماترو ولاية يوبي:

بعض التحديات التي تواجه هذا المركز وبياناتها تتلخص في النقاط الآتية:

ضعف أساتذة اللغة العربية: عدم وجود أساتذة أكْفياء يؤثّر سلبياً في الطلاب، ويَظهر ذلك في مخاطباتهم ومحادثاتهم مع الآخرين، حيث يحسّون بالضعف ولايستطيعون المحادثة بالعربية أمام الناس خوفا من الوقوع في الأخطاء الكثيرة الفاحشة، وهذا يؤدّي بهم إلى ترك التحدث بالعربية ورفضها أيضا، ويعتبر ذلك من عقبات انتشار العربية في ولاية يوبى.

سياسات اللغة: اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسميّة في الدولة، فالحكومة تفضّل طلابها على الآخرين، وذلك له تأثير سلبي على دارسي اللغة العربية.

قلة تشجيع الطلاب: ونقصد بها الجوائز والهدايا المادّية لتشجيع الطلاب، بعقد مسابقات في اللغة العربية والرسم العربي، واختيار الفائزين من بين الطلاب، ومنحهم جوائز ومكافآت للتحفيز، قليلة جدا في المدارس العربية في المجتمع اليوبوي.

تأثّر الطلاب باللغات المحلية: أما عن تأثّر الطلاب باللغات المحلية فيظهر ذلك جلياً في محادثاتهم بالعربية في أسلوب اللغات المحلية، ولا ينظرون إلى الفروق اللغوية التي تتميّز بها العربية عن غيرها في الغالب، كالابتداء بالجملة الفعلية.

نظرة دارسي العربية إلى مستقبلها: يقيس دارسو العربية أنفسهم بمن درسوا الإنجليزية في السّلك الحكومي فيجدون أن دارسي الإنجليزية أمامهم فرص عمل كثيرة بينما هم لا يجدون أي فرصة في الحكومة سوى التدريس في الغالب. وهذا له تأثير سلبي في العربية ومن ينتمي إليها.

عدم المحادثة بالعربية: مدرّس العربية غالباً لا يستطيع أن يؤدّي دوره كاملا في ناحيته، على عكس الذين يدرّسون الإنجليزية أو الهوسا، وهذا في الحقيقة يعتبر عقبة كبرى بالنسبة للغة العربية ومدرسيها.

نظرة المجتمع إلى اللغة العربية: نجد أن ثمة إهمالا كبيرا من ناحية المجتمع للغة العربية، فأغلبية المجتمع لا يرون للغة العربية قيمة، وذلك يعتبر أيضا عقبة كبرى تواجه العربية في المجتمع النيجيري.

عدم اهتمام الإعلام بالعربية: النشاطات الإعلامية تغفل الجانب العربي تماماً ففي التلفاز المحلي ليس هناك أي برامج باللغة العربية ولا في الإذاعات المحليّة ولا في الصّحف اليومية ولا اللاّفتات الإعلامية في الشوارع، ويعتبر ذلك عقبة كبرى للغة العربية ولمن يريد أن يتعلمها من أبناء المجتمع.

تنصيب مديرين غير مناسبين في المدارس الإسلامية العربية: الإدارات في المدارس العربية أغلب مديريها مثقفون ثقافة غربية إنجليزية، ودائماً نراهم يهتمون بثقافتهم ويتجاهلون أو يتنكرون للثقافات الأخرى بما فيها الثقافة العربية.[7]

تعليقات:

بالنسبة إلى فقدان الدعم المادّي الكافي من قبل الحكومة والمجتمع، فبعض الحكومات مقصرة حتى في دعم المؤسسات الدينية الحكومية العربية، فلا غرابة إذا لم تعط اهتماما بالغاً للمؤسّسات الأهليّة، أمّا بالنسبة للمجتمع وعدم اهتمام بعضهم باللغة العربية، فالمجتمع متأثّر بتلك الحكومات، فإذا اهتمّت الحكومة بشيء يهتمّ به المجتمع، وهذا أمر طبيعي.

ومن الإنصاف بيان القول المشهور من قبل بعض المسؤولين في المؤسسات التعليمية العربية عن عدم التمويل والدعم الكامل من قبل الحكومة، وبأن الحكومة لا تهتم بجانب العربية، وهذا القول لا ينطبق على جميع الحكومات، وإنما على النسبة المذكورة، فالحكومة بالنسبة لبعض الولايات الشمالية ومنها ولاية يوبى، تهتمّ بالعربية وتعطي عناية بالغة على تعلّمها وتعليمها، بدليل أن الحكومة في ولاية يوبى في عهد الوالي بكر أبه إبراهيم والوالي محمد علي والوالي الحاج إبراهيم غيدم تنفق مبالغ مالية كثيرة طائلة في مجال دعم المدارس الإسلامية والعربية، وذلك منذ أن أنشأوا وزارة الشؤون الدينية في عام 2003م، إلى يومنا هذا، ولكنّ المشكلة تكمن في الضعف الإداري، وهذا الضعف إداري أثّر كثيرا في هذا الجانب، ولا يقتصر على فئة معيّنة من الحكومة، بل يشمل الجميع، ولكنّ المسؤول الأول عن المراقبات والتحقيقات هي الحكومة، والدليل على وجود الضعف الإداري، فإنك مثلاً لو سألت مسؤولا كبيرا عن عدم التمويل الكافي من قبل الحكومة لجانب العربيّة والدّراسات الإسلامية، فإنه يجيبك بأن ذلك كلام غير صحيح، فإنهم قد أخرجوا للجانب العلمي كذا، وأعطوا جانب الدراسات الإسلامية والعربية كذا وكذا، وتقدّر أموالا طائلة لا نرى لها أثرا في الواقع، وإذا سألت المسؤولين دونه في المنصب في الإدارات المعنيّة بذلك، ينكرون وجود تمويل كافٍ لمجال الدراسات الإسلامية والعربية؛ لأن ثم تلاعبا من قبل الفئات الحكومية جميعاً، فالجميع يريد أن يجد حظه من هذه المبالغ يستفيد منها هو شخصيا، يقدم مصالحه الشخصية على مصالح الأمة، وهذا ما نلمسه في الواقع الحكومي الإداري.

وقد توصل الباحث إلى ذلك عبر مقابلات ومحاورات أجراها مع بعض الشخصيات المسؤولة عن هذا الجانب، ومما ساعد على ازدياد هذه الظاهرة في جانب الدراسات العربيّة، فقدان الوعي الكامل من قبل المثقّفين بها، فهم لا يكتبون المشاكل التي تواجههم من قبل بعض المسؤولين الكبار وينشرونها في الجرائد، وغيرهم يكتب

وينشر ويشكو ويطالب، والحكومة تنتبه وتقلّص من الفساد في جانبهم، والمسؤولون في جانب العربية لا يستطيعون ذلك، خشية أن تغلق الهيئة كلها، ويفقدون أعمالهم؛ لذا يسكتون ولا يتكلمون، ويتّهمون ولا يردّون، وهذا أدى بهم إلى إحساسهم الدائم بالظلم والقصور وانكماشهم وانطوائهم على أنفسهم، وتراجع بسبب هذه الظاهرة دورهم في المجتمع، وأثرت هذه الظاهرة في مسيرة نشاطات اللغة العربية، وهذا عائق وعَقَبَة كبرى تمنع من انتشار اللغة العربية في المجتمع اليوبوي.

الخلاصة

وقد اتضح لنا مما سبق أن هنالك تحديات وعقبات تتجسد أمام اللغة العربية في نيجيريا، بعضها قديمة، ولم يزل تأثيرها موجودا في ذاكرة المجتمع، وبعضها حديثة واقعية يعيشها المجتمع، ونأمل أن تزول هذه التحديات والعقبات في المستقبل إن شاء الله.

أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، هي:

1- الحكومة الفدرالية لم تعط قيمة كبيرة لجانب الدّراسات الإسلامية والعربية بسبب انتمائهما للدين، والدّولة علمانية، فالحكومات تخشى أن تتّهم بالتحيّز للدين ويعتبر هذا الإهمال تحدٍّ كبير للعربية.

2- تأثر المجتمع المسلم بالأفكار الماضية التي ترى أن التعليم الديني والعربي تعليما مجّانيا فلا يجوز أن يؤخذ عليه أجرة، ولذلك تراهم يتباطؤون في دفع رسوم أولادهم في جانب المدارس الإسلامية على عكس المدارس الإنجليزية، تأثرا بالأفكار الماضية.

3- أن خرّيجي المدارس الإنجليزية يحصلون على الأعمال الحكومية بعد تخرّجهم مباشرة، أما خرّيجو العربية فلا بدّ من أن يبدأ بالعمل في المدارس الأهلية، ثم رويدا رويدا يتوصل إلى العمل في الحكومة وهذا له تأثير في نفوس المجتمع.

4- رؤية بعض الآباء الجهلاء للعربيّة على أنها ثقافة غَرِيبَة وجديدة في الدولة، وليس لها أي تاريخ ولا قيمة في رأيهم الخاص، ناسين أن هذه العربية لغة الإسلام ولغة نيجيريا بل إفريقيا قبل الاستعمار البريطاني.

5- تهميش صورة مدرّس اللغة العربية في القديم حيث يأخذون شيخاً كبيرا، كارها للنظام الحكومي كئيبا مسكينا ليس له أي كفاءة تعليمية ولا مظهرٌ يليق به كمدرس للعربية، فتأثير هذه الصورة ظل مطبوعا في نفوس بعض الناس، فظنوا أن كل من ينتمي لهذه الثقافة مآله إلى ذلك، وليس له أي مستقبل في الحياة.[8]

الهوامش

[1] انظر: سالم مبارك الفلق. **اللغة العربية التحديات والمواجهة**. المكتبة الشاملة. ص12، (نسخة إلكترونية).

[2] انظر: البوطي، محمد سعيد رمضان. **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**. (دمشق: دار الفكر ط 11، 1991م)، ص33.

[3] الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. **مختار الصحاح**. تحقيق : محمود خاطر. (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1415هـ – 1995م)، مادة (حَدَا).

[4] انظر: سالم مبارك الفلق. **اللغة العربية التحديات والمواجهة**. ص 19.

[5] انظر: بليبل، نور الدين. **الإرتقاء بالعربية في وسائل الإعلام**. ص 28، سلسلة كتاب الأمة.

[6] مقابلة وكتابة بخط السيد **عثمان ناصر**. السكرتير التنفيذي للهيئة في مكتبه بالهيئة، وذلك يوم الأربعاء بتاريخ: 2010/12/22م.

[7] مقابة مرئية صوتية مع الشيخ **أيوب غوني كرمسامي**. المدير السابق لثانوية، وأحد أئمة المسجد الجامع للمركز، في الساعة:2:00 ظهرا، يوم الثلاثاء بتاريخ 2011/8/16م بالمركز أمام منزله.

[8] توصل الباحث إلى ذلك من خلال المقابلات الشخصيّة بالمسؤولين عن العربيّة، وتحليل العمل الميداني لواقع اللغة العربية في مجتمع ولاية يوبى.